



(جان آرب .. فنان الكتلة والفراغ)

(١٨٨٧ - ١٩٦٦)

در بلا ظلال
في أقواس بلا ابتسامات
ظلال ملتحية
تسجل مهمات الحركة
وأدق دقائق الرعب
أبحث تحت الرماد البارد
عن أصغر العصافير
التي لا تخفض أبدا أجنحتها ،
لأنها أبدا تقاوم الريح .

ولد جان (هانز) آرب بستراسبورج بالالزام عام ١٨٨٧ ، وعرف كمثال ولكنه مصور وحفار وشاعر ، وهو واحد من كبار المبدعين والمتميزين في عالم الفن المعاصر ..

هذا الابداع وذلك التميز تمتع بهما منذ طفولته ، فقد مارس محاولاته في الرسم وهو في سن مبكرة جدا ، ولا غرابة فقد تلقى دروسه الثانوية في باريس .. التحق رسميا بمدرسة الفنون الزخرفية وهو في السابعة عشرة ، ولكن سرعان ما أصيب بالملل من جراء نقل صورة العصافير في العش والزهور المتخفية .

وفي هذه السن أيضا زار آرب باريس واكتشف أشكال التعبير المتطورة في الفن الحديث .. وفي هذه السن لم تعد الدراسات الأكاديمية ترضيه وتشبعه وتفيده أو تضيف إلى موهبته شيئا ، وهكذا بقى في سويسرا لكي يرسم ويفكر ويشعر بحرية وكانت قصائده الأولى ..

تعرف آرب عام ١٩٠٩ إلى بول كلي الذي عرفه فيما بعد بكاندنسكي وماكس آرنست، وكانت بداية حياته الفنية والاجتماعية ، الأمر الذي هيا له فرصة الاشتراك عام ١٩١٢ في المعرض الثاني بميونخ ، أما في العام التالي فقد عرض آرب في برلين في أول صالون خريف يقام في العاصمة الألمانية .. وخلال تلك الفترة اتصل بماكس آرنست وقويت علاقته به مما أدى إلى تواجده طوال عام ١٩١٤ في باريس بصحبة أبوللنير وكرافان ودولونوي وبيكاسو وموديليانى الذي رسم بورتريه له ، فضلا عن الاختلاط بالوسط الفني والأدبي ..

عاد آرب إلى سويسرا تجنباً لأهوال الحرب خاصة وأنه يجمع بين
الجنسيتين الفرنسية والألمانية وهكذا عكف على رسوماته ذات الطابع
التكعيبي المتميز بالدقة والوضوح والقوة .. وإلى جانب الرسم طبق
المذهب نفسه وبأسلوبه الخاص على السجاد والكولاج الذي عرضه عام
١٩١٥ بجاليري تانير بزيوريخ .. وفي زيوريخ وبفضل علاقته القديمة
بماكس آرنست أقام معه فترة طويلة ابتداء من عام ١٩١٦ ، حيث ظهرت
"الدادية" على يديه وتأثر بها آرنست تأثراً كبيراً .. وهذا ما دعاه إلى
الاشتراك مع تزارا وجانكو وهوجوبال في تأسيس حركة "الدادية" .. وهكذا
استعاد آرب نشاطه الذي كان قد بدأه عام ١٩١١ عندما أسس مع اثنين من
المنفيين الألمان هما فالتر هيلبيج وأوسكار لافي مجموعة "ديرموردريماند" .
وتعرف على الفنانة التشكيلية صوفي تاووبير وتزوجها فيما بعد
وبالتحديد في عام ١٩٢٢ ..

ولقد كان تأثير آرب على الداديين قوياً وواضحاً ، وامتد هذا التأثير
ليس من خلال اللوحات والتماثيل فحسب ولكن من خلال أغلفة دواوين
الشعر كذلك ، وكذلك من خلال الكولاج التجريدي ..

وفي عام ١٩١٨ بدأ آرب يمارس ما سمي بالرسم ما بعد الشعاعي
والذي يشبه كثيراً لوحات كاندنسكي المائية التجريدية المبكرة ..

وفي عام ١٩٢٠ عاد آرب إلى كولونيا حيث اشترك من جديد مع
مجموعة جديدة من الداديين الجدد وعلى رأسهم ماكس آرنست وبارجلد ..

وفي باريس حيث انتشرت السريالية انتشารา مذهلاً عطل نمو
المذاهب والأساليب الأخرى التي ولدت معها أو قبلها بقليل وأبرزها الدادية ،

لم يستطع آرب أن يغالب تيار السريالية الجارف بل أصبح علما من أعلامها بعد بيكاسو .. وقد أضاف آرب إلى سريالية بيكاسو المندفقة ما أسماه " الرمزية الحسية " برسم أشكال غريبة ولكنها موحية معبرة وذات دلالة إنسانية غامرة.. وفي إطار السريالية أيضا أدخل آرب " الكولاج " أو "القص واللصق" مستخدما الورق المقوى والسلك سكرين والجواش بطريقة "السيريغرافي" المحدودة النسخ عند السحب على النسخة الأصلية التي تبلغ في المتوسط ٤٠سم طولا في ٣٠سم عرضا ..

وفي عام ١٩٢٥ كان آرب من أوائل المعارضين في أول معرض سيريالي ، وفي العام نفسه نشر بالاشتراك مع ليستزكي أول دراسة نقدية فنية له بعنوان " الفن " ..

ولقد شارك بانتظام منذ عام ١٩٢٦ وبعد أن تقرر إقامته بشكل نهائي في منطقة المودون في أنشطة الحركة السريالية الفنية والفكرية إلى جانب عضويته الدائمة بمجموعة الفن التجريدي " دائرة ومربع " وكذلك بمجموعة " تجريد - إبداع " ..

وفي عام ١٩٣٠ ، ١٩٣١ عرض لأول مرة مجموعة الرسومات الممزقة إلى قطع صغيرة والمعاد تكوينها بأشكال مختلفة .. ومنذ هذا التاريخ وهو ينوع في تناولاته ويجدد في رؤاه ويحاول محاولات عديدة ومتباينة ليخرج بنتائج مبتكرة ، بعضها ينجح والبعض الآخر يخفق في الوصول إلى عيون المشاهدين وعقولهم ..

وفي هذا التوقيت بدأ يمارس النحت ، أولا على الحجر ثم على المعدن . وخلال الحرب العالمية الثانية هرع آرب إلى جراسي حيث عمل مع سونيا دولونوي وألبرتو مانييلي ..

بعدها أقام آرب فترة في أمريكا (١٩٤٩ - ١٩٥٠) ثم في اليونان (١٩٥٢-١٩٥٤) ..

عرض آرب في معارض باريس ولندن وليدز ونيويورك .. ولكنه لم ينل شهرته العالمية إلا فيما بعد الحرب ، فقد حصل على جائزة النحت الكبرى ببينالي فينيسيا عام ١٩٥٤ ، وظل بقية سنوات عمره موزعا بين مرسومه في مودون ومرسمه الآخر في لوكارنو مركزا على النحت وملفتنا أحيانا إلى الرسم والحفر وكتابة الشعر ..

وتفرغ آرب فترة لكتابة " مذكراته " الشخصية والفنية فقد عرف آرب بحبه للكتابة إلى جانب عشقه للفن ولكنها الكتابة التي تدور في فلك الفن دائما، إلى درجة أنه كان يقترب من النقد الفني في وقت لم يدع فيه عمالقة الفن الذين ظهروا معا وفي ظروف متشابهة الفرصة الكاملة لظهور نقاد فنيين على مستواهم ، قبل ظهوره " أندريه بریتون " أبو السيريالية (من وجهة نظر فكرية) و " بول إيلوار " صديق الفنانين (من وجهة نظر إنسانية) و "أندريه مالرو" راعي الفن (من وجهة نظر حضارية) ..

ولهذا صرح آرب بقوله : " لو لم يعترف بي منذ البداية كفنان تشكيلي لأصبحت الآن ناقدا تشكليا " ..

ومع هذا فقد كان آرب واحدا من مؤسسي الفن الحديث ولا يمكن إغفال دوره الرئيسي والأساسي في هذا المجال .. كما لا يمكن إنكار مساهماته الفعالة في الحركتين الدادية والسيريالية ومساهماته الأكثر تأثيرا في الحركة التجريدية المناهضة للحركة الحسية ..

وشهرة آرب لا تقل أيضا في التصوير والرسم والحفر ، وفيها جميعا كان أسلوبه واحدا بسيطا ، فالأشكال متناغمة دائما والمساحات محسوبة بدقة والحساسية موزعة على الكتلة كما هي موزعة على الفراغ والشاعرية تكسو كل الأسطح كما تتخلل كل الفتحات بحرية وحيوية في نسيج يجمع بين الحلم والواقع ويمزج بين الحقيقة والخيال .

وفي عام ١٩٦٦ وفي مدينة بازيل شفايز توفي جان (فرانز) آرب عن تسع وسبعين عاما عامرة بالفكر والفن .